دراسات تاريخية المجلد العاشر العدد الثاني السنة 1444هـ/2022م ص ص 342-357

مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

ملامح من المظاهر العمرانية بالريف والبادية في الجزائر العثمانية ؛

قراءة في بعض كتب الرحلة.

The Urban characteristics of Countryside and Desert During the Ottoman Period in Algeria According to the writings of Backpackers

آل سيد الشيخ سعاد[1]،

جامعة غرداية،

dohaislam@gmail.com

الارسال: 22/09/25 القبول :22/10/01 النشر:22/10/03 المرسل: آل سيد الشيخ سعاد

الملخص:

شهدت الجـــزائر خلال العهد العثماني بروز وتبلور جوانب متعـــدّدة الخصائص من الناحية الجـغرافيـــة و من ناحية الهوية الاجتماعية بشكل جلي، ولعلّ من أبرزها ما يُعرف بالريف والبادية، والذي شَمل الطابع العمراني وميزاته المتنوعة بين الخصوصية الريفية والبُعد البدوي والخصائص الصحراوية.

ولهذا جاءت هذه الورقة البحثية لتسليط الضوء على بعض المفاهيم المتباينة عن الريف والبادية بالجزائر، وأهم المظاهر العمرانية بهما خلال العهد العثماني؛ ولتبرز الاختلافات التي تداولتها دراسات عدّة؛ بالمقارنة والمقاربة أو المفارقة بين المصطلحين في بعض الأحيان.

كما تسعى هذه الورقة البحثية إلى دراسة تعدّد الخصوصيات الجـغرافية والبُنى الاجتماعية التي تميّزت بها الجزائر العثمانية، والتي تعكس بوضوح الرصيد الحضاري للمجتمع الجزائري في أواخر العهد العثماني.

كلمات مفتاحية: الجزائر العثمانية؛ الريف؛ البادية؛ مظاهر العمران؛ أدب الرحلة.

Abstract

Algeria during the Ottoman Era experienced several variables in all aspects of life including the social identity of its population and its geographical characteristics. The current paper aims to shed light on the divergent interpretations to the concepts of the countryside and desert in Ottoman Algeria. It reports the findings of several studies Comparing, approximating or contrasting the two terms sometimes. It also discusses the multiplicity of geographic peculiarities and social structures that characterized Ottoman Algeria, which clearly reflect the cultural richness of the Algerian society in the late Ottoman era.

Keywords: Ottoman Algeria, countryside, desert, Urbanization, Backpackers' literature.

مقدمة:

شكّل موضوع البادية والريف محور اهتمام لفيف من المؤرخين والجغرافيين وحتى الرحالة في كتاباتهم التوثيقية عن أي منطقة يمرون بها أو جوانب جغرافية يسلطون الضوء عليها في دراساتهم التاريخية؛ لقيمتها العلمية البالغة على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذا الشق الثقافي منها، فتضاربت الآراء في ضبط المفهوم الحقيقي لمصطلح البادية أو البوادي، وازدواجية المعنى مع الطابع القروي أو ما يُعرف بالريف. وللفصل في هذه المسألة نخوض غمار المقارنة والمقاربة والترجيح على حسب ما أتضح لنا من رؤى.

1. **مفهوم الريف لغة واصطلاحا:**

أ- لغـــةً:

تعددت مفاهيم الريف بين المصادر مختلفة الأنماط، غير أن جلها يصب في قالب واحد، فالريف بالمفهوم القرآني عند بعض المفسرين جاء مرتبطاً بلفظ القرية، والتي عرفت بأنها:" المصر الجامع، وكل مكان اتصلت به الأبنية، واتخذ قراراً "[1]، أما في الموسوعات العربية ومعاجم اللغة، فيعرفه ابن منظور على أنه:" الخصب والسعة في المأكل والمشرب وجمعه أرياف، والريف: ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها، ورأفت الماشية أي رعت الريف، وفي الحديث تفتح الأرياف فيخرج إليها الناس، وهي جمع ريف، وهو كل أرض فيها زرع ونخل"[2]، وفي المعجم الوسيط الرِّيف:" أرض فيها زرع وخصب، ويطلق على ما عدا المدن من القرى والكفور، والسعة في المأكل والمشرب، جمع: أرْياف ورُيُوفُ[3].كما عرف في معجم علم الاجتماع بأنه البيئة التي يعيش فيها الفلاحون ويمارسون فيها نشاطاتهم"[4]

وقد وجد عند العرب كلمات في معنى الريف مثل: القرية، المدر، الحدر، البادية، الوبر"[5]، كما بين محمد حسن في كتابه:" المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي" معاني مرادفة لمعنى الريف، بل يسميها الحزام الريفي الأول ك: السواني، والبساتين، والأجنة، والرياض، والأبراج، أما الحزام الريفي الثاني على حد وصفه أيضاً فيمثل: الأحمية، والفحوص، والضياع، والفدادين، والهناشير، إلى جانب معاني عامة توحي بالمفهوم الريفي في الغالب: كالمروج، والضواحي، والأوطان، والمزارع، والغابات[6].

ب- اصطلاحاً:

أما عند أهل الأخبار والسير يروون أن المصطلح القروي أكثر تعلقاً بالمفهوم الريفي، فإن لم يكن تصريحاً فبالأوصاف التي توحي بالمعنى:" أن أهل القرى كانوا أصحاب زرع ونخيل وفواكه وخيل وشاء كثير وإبل...إذ إنهم المستوطنون الذين أغراهم عثورهم على الماء، على السكن حوله وعلى الاشتغال بالزراعة "، وهذا ما بينه ابن خلدون في تاريخه وهو يتحدث عن أهل القرى والمدر في قوله:" فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به أولى من الظعن، وهؤلاء سكان المدر والقرى والجبال"[7]،كما وصف أحوالهم في المعاش على اقتصارهم على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن، وسائر الأحوال والعوائد،

متخذون من الشعر والوبر والطين بيوتاً[8]، ولكن الواضح من كل ما قيل أن المفهوم الريفي كما أرتبط بالقرى ارتباطا وثيقاً، فقط أرتبط بالزراعة والخصب في المعاش، وكل ذلك جاء منعكساً للطبيعة الجغرافية للسكان بالجزائر والتي تمتاز بالتنوع من منطقة إلى أخرى بين السهول والتلال والهضاب، فهذه الميزة في التنوع خلقت أنشطة اقتصادية وأوضاع اجتماعية متلائمة مع بيئتها. فسكان المناطق السهلية الفسيحة كسهول متيجة ووهران وبونة، إلى جانب السفوح الجبلية لسلسلة الأطلس التلي، مارسوا الزراعة حيث التربة الخصبة والمناخ المعتدل، والأمطار الغزيرة والغابات الكثيفة.كما امتهنوا صناعات متنوعة، واستقروا في بيوت مبنية بالطين والحجارة، فكانت الحياة رغدة نتيجة ملائمة الظروف الطبيعية. وبالتدرج تشكلت النواة الأولى لنشأة القرى والمدن في المنطقة[9].

وهذا ما عبر عنه الإدريسي في وصفه لجزائر بني مزغنة:" ومدينة الجزائر على ضفة البحر وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة ومن آبار، وهي عامرة آهلة وتجارتها مربحة وأسواقها قائمة وصناعاتها نافقة ولها بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر، وزراعاتهم الحنطة والشعير وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم ويتخذون النحل كثيرا، فلذلك العسل والسمن كثير في بلدهم وربما يتجهز بهما إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم وأهلها قبائل ولهم حرمة مانعة" [10].فهذه المؤهلات التي تمتعت بها جزائر بني مزغنة، جعلتها ترتقي في الفترة الحديثة لتصبح عاصمة الدولة العثمانية في المغرب الأوسط. ولكن هناك عبارة تستوقفنا مما قاله الإدريسي:" ولها بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر"، يقصد بها الضواحي والنواحي القريبة منها أطلق عليها اسم البادية، فهنا نرى الترادف لمفهوم الريف عند أبو عبد الله الشريف الإدريسي، في وقت مبكر وإن كان من علماء القرن السادس هجري. وقد شاركه الكثير من المؤرخين في تداول هذا المعنى في كتاباتهم عن الجغرافية الريفية سواء في الفترة الوسيطة أو الحديثة لنرى هذه الرؤية بأكثر وضوح في الجزئية الموالية.

2- مفهوم البادية:

أ- لغـة:

جاء في كتاب العين للفراهيدي والذي يشاركه بنفس المعنى ابن منظور في كتابه لسان العرب **البادية**: مأخوذة من البَدْوَ والبادِيَةُ والبَداةُ، والبِداوةُ مشتقة من الفعل بدا، وهي اسم للأرض التي لا حضر فيها لا محلة فيها دائمة، فإذا خرجوا من الحضر إلى المراعي والصحاري، قيل: بدوا، ويقال: أهل البدو وأهل الحضر[11].

أما **البادية** في معاجم اللغة المتعددة اختلفت حولها التعاريف؛ ففي المعجم الوسيط **البادية**: مؤنث البادي، جمعها بواد، وهي فضاء واسع فيه المرعى والماء[12]، فالبادية مفرد جمعها باديات وبواد، وهي صيغة المؤنث لفاعل بدأ، قيل عنها: أرض في الصحراء فيها المسكن والمرعى والماء، خلاف الحضر، وأصلها من مصدر بدأ: تعني الإقامة في البادية ويغلب عليها التنقل والترحال، وهي خلاف الحضارة[13]، ويجمل صاحب المعجم الغني في التعريف بالبادية بأنها: مساحة شاسعة تحيط بها حقول يعيش فيها أهل القرى المتقاربة أحياناً والمتباعدة في أحياناً أخرى[14].

في حين تعرض النص القرآني للبادية والبدو بمعاني مختلفة كقول الله عز وجل في سورة يوسف: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[15]، فقد جاءت كلمة البدو في هذه الآية الكريمة بلفظ جمع للبادية وهي خلاف الحَاضَرة، كما وردت بمعنى ظهر ولاح بمصطلح بدا في قوله تعالى:﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، وإلى جانب هذه المعاني في الآيات الكريمة، فقد وردت البادية على اختلاف مقاصدها في النص القرآني بأوجه عدة نذكر منها: بدا، بدت، تبدوا، تبدون، تبدونها، تبدوه، لتبدى، يبدها، يبدون، ليبدي، يبدين، تبدو، تبدوه، لتبدى، مبديه، الباد، الأعراب...[16].

كما وردت عبارة البادية أو أهل البادية في العديد من الأحاديث النبوية منها: " عليه مسحة أهل البادية"،" ومن سكن البادية جفا" وفيها إشارة لطبيعة البادية القاسية، فإذا تطبع عليها الإنسان جُبل على القسوة والجفاء "، "ولا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية" لجهله بأحكام الشرع،" "ولا بيع حاضر لباد" لجهل البدوي بأحوال المبادلات التجارية بالأسواق فيغرر به[17]، كما لا نغفل عن السيرة العطرة للنبي صلى الله عليه وسلم وحبه للبادية، فقد استرضع وتربى في ديار بني سعد في طفولته، ورعى الغنم في صباه في بوادي مكة، هذه التنشئة المبكرة للنبي ﷺ بالبادية أكسبته مؤهلات فذة لحكم ربانية عظيمة، تلك التربية الإلهية التي جعلت منه قدوة للبشرية جمعاء. وقد ظل حب البادية في نفس النبي ﷺ حتى بعد بعثته، فكان يخرج إليها للتعبد.

ب- اصطلاحاً:

أما عن المفهوم الاصطلاحي للبادية فقد أرتبط في بداية الإسلام بمجال القبائل والبدو، غير أن هذا المفهوم تحور وتحول عند الكثير من المؤرخين في كتاباتهم في العصر الوسيط وخاصة الفقهاء منهم في بلاد الغرب الإسلامي وذلك منذ عهد الأغالبة، فقد أطلق على المزارعين في الريف أساساً[18]، وعلى المجال الريفي بالتحديد، فقد جاء في كتاب "رياض النفوس" حديثاً عن بادية سوسة بمعنى ناحيتها في مجلس بن سحنون القيرواني:" قال سليمان بن سالم: كنت قاعداً عند ابن سحنون[19] حتى أتاه رجل يقال له حسان بن شاكر، فسأله أين غبت يا حسان؟ فقال: في البادية، أصلحك الله، فقال: إن لله تعالى نبياً في البادية، ثم قال: ما حال مسجدكم ؟ فقال له: كما تعرف البادية، فقال له سحنون:" وإني لأظنه تفتل به الحبال، فقال له: نعم، فما أصنع بهم ؟ [20]".

2. المظاهر العمرانية بأرياف وبوادي الجزائر العثمانية

إن التداخل واضح في المظاهر العمرانية بين البادية والريف وهذا ما أقر به الكثير من المؤرخين والباحثين بطريقة أو بأخرى، وسنثبت هذا في أخر المطـاف. ولكن ما نراه مناسباً في هذه الجـــزئية لنستهل بها الحديث عن هذا الموضوع، هي التجمعات الريفية القروية والتي انتشرت بكثرة في الجزائر العثمانية، وبالأخص بالمناطق الجبلية التلية والهضابية مثل قرى بلاد القبائل ولأوراس، والمناطق الصحراوية. وما يلفت الانتباه هنا العنصر المشترك بين هذه التجمعات القروية في طابعها المعماري العام وفي تكوينها. ولكن قبل الخوض في التفاصيل العمرانية لهذه القرى، نعطي تعريفاً موجزاً للأصل اللغوي للقرية، فهي مأخوذة

من " القاف والراء والحرف المعتل " وهو أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، وهي المكان الذي اتصلت به الأبنية واتخذ قراراً. أما عن المعنى الاصطلاحي لها فهي المكان الذي يعيش فيه مجتمع قليل من الناس في منازل مركبة من الجدران والسقف[21]. إذا فمن خلال هذا التعريف المختصر يتضح أن الطابع العام للقرى في العموم هو طابع البساطة؛ في المواد المستخدمة في بنائها وفي هندستها الخارجية، فهي قرى بيوتها مبنية بالحجارة والطوب مطلاة بالطين، متراصة متماسكة مع بعضها البعض بدون طوابق، ولعل أجمل بناية فيها المسجد، سكنها البربر والعرب على حد سواء[22]،كما سنبينه في الآتي:

1.2. القرى التلية:

ركزت الكتابات التاريخية وبالأخص بباليك الشرق على القبائل البربرية بقراها في إقليم سيباو، أين انتشرت القرى الريفية بالمرتفعات الجبلية. فإقليم سيباو إقليم حصين وتحصينه هذا جاء من أختيار سكانه لقمم الجبال موطناً لبناء دورهم وقراهم، فجاءت استراتيجية هذا النمط من البناء المعماري كحصانة ومناعة دفاعية، تبنته هذه القبائل عبر العصور، ليسهل عليها التصدى لهجمات أعدائها، فوجدت فيه المنعة والغلبة على الخصوم. وهذا ما يؤكد شلوصر في قوله:" لا يحب القبائل أن تكون لهم مشكلة مع العربان في السهل، وإنما يستدرجونهم إلى الجبل، حيث تكون السيادة لهم . ولذلك يبنون قراهم فوق قمم الجبال، ليحموا أنفسهم من الغارات، وإذا اقترب عدو من مساكنهم، فإنهم ينادون بعضهم بعضا من جبل إلى آخر وبعد فترة قصيرة يتدجج الجميع بسلاحهم"[23]. وما ساعدهم على حصانة جبالهم إقامة أسوار لها يصعب إختراقها:" وتحيط الأسوار بالقرى كلها، وهي محصنة جداً، لا يستطيع العدو مهاجتمها بدون مدفعية"[24]. وهذا ما كان حتى مع الأتراك العثمانيين، فقد لقوا صعوبة في إخضاع إقليم سيباو، ويثبت هذا شلوصر أيضاً في قوله: "فالجبال ليست تابعة للبايلك...ويخشى الباي الاصطدام بالقبائل، ولا يحارب العرب إلا إذا تأكد من حيادهم"[25]، ولم يحل السلام بهذا الإقليم إلا بعد عقد اتفاقيات بين أعيان الاقليم والسلطة العثمانية الحاكمة[26].

أما عن طابعه المعماري فيسكن القبائلي القرى والمدن الصغيرة النقية الهواء، التي لا تقع في السهول وإنما تقع فوق قمم الجبال، وبيوته مبنية من الحجارة على الطريقة الأوروبية، وتحيط به الحدائق والبساتين، وغابات الزيتون، التي تلتمع فيها الغلال البديعة، هواؤه نقي وبيوته مؤثثة بصورة مريحة ولها حوش مخصص للماشية ولكنهم لا يربونها إلا قليلاً [27].

وذكر الرحالة الألماني هاينريش أن سكان منطقة القبائل الكبرى يسكنون بيوتاً مبنية بالحجارة[28]، أما شالر فكتب :" أن القبائل يسكنون الجبال دائماً ويفضلون قممها حيث يقطنون في قرى يسمونها " دشرة" تتكون من أكواخ مبنية بالطين والوتل، وإذا نزلوا إلى السهل فلكي يواجهوا عدواً أو يقوموا بمغامرة"[29].

وتحدث لامبير عن قرى سيباو ذكراً أنها محاطة بالاخضرار وأشجار الزيتون، إلا أن وضعيتها متدهورة بحيث أن أوسع المنازل مساحة هي ما كانت تتجاوز ثلاثة أمتار عرضاً على أربعة أمتار طولاً، وهذه المساحة الضيقة تجمع الرجال والنساء والأطفال للعائلة الواحدة وكذا ماشيتهم من أغنام وماعز ودجاج وليس لهذه المنازل طوابق، وتسمح لقامة الرجل أن يلامس سقف البيت الذي تشده أعمدة خشبية، وباب المنزل عريض وليس بالطويل لكنه غير محكم، مفتوح على الساحة داخلية ضيقة ومغطاة. والقبائل[30] لا

يعرفون المدخنة والنوافذ فالضوء لا يدخل إلا من الباب الذي يبقى مفتوحاً طول النهار ومنه يخرج الدخان، مما يعرض أفراد الأسرة إلى أمراض وخاصة أمراض العيون. ويتوسط المنزل المطبخ الذي يجتمع في أفراد الأسرة لتناول الغذاء وهم جلوس على الأرض، يتجاذبون أطراف الحديث فيما بينهم، ويخزن القبايل في قاعة خاصة مواد غذائية سنوية مثل الشعير والتين والزيت في قلل أو جراع فخارية تصل حمولتها إلى عدة هيكتولترات. وتقع خلف هذه القاعة، قاعة أخرى، مخصصة لمبيت أبقار الحرث، أي غير الحلوب والبغال والماعز والدواجن، أما الأغنام فتبيت مع الأسرة والتي يتحدد عددها من طرف مجلس الجماعة، فكان كل منزل قروي بجرجرة عليه أن لا تتعدى ملكيته للأغنام أربعة رؤوس نظراً لضيق المساحة الرعوية في المناطق الجبلية[31].

وقد شاركهم في هذا النمط من المعاش على قمم الجبال وحتى الطابع المعماري للمسكن منطقة لأوراس، بجبالها الجنوبية الممتدة في جنوب قسنطينة بين باتنة وبسكرة على جبال الأطلس التلي، بسلاسله المختلفة بين الجزائر وتونس. يقطنه قبائل عدة هم في الأصل مزيج من العرب وبربر الشاوية[32]، ذكر ابن خلدون أن عناصر من قبائل بني هلال استقرت في مناطق الأوراس وامتزجت إلى حد ما بالبربر من الشاوية[33]. غير أن السبب الأساسي في عزوف تلك القبائل عن سكنى السهول والأراضي الخصبة وتركها فراغاً والامتناع بالمناطق الوعرة لتكون لهم حصناً آمنا، والتي تمثلت في الغالب قمم الجبال والمرتفعات والفيافي، حيث شكلت المجال الأكثر استقطابا للمجتمع الريفي، طالما أن السهول كانت مطمعاً لجمع الضرائب والغارات المفاجئة للمتنعين عن تسديدها للسلطة الحاكمة. لأن الأرضي الخصبة في مجملها من الأهداف الأساسية للأطراف المتنازعة وللنهب، لسهولة إخضاعها والسيطرة عليها. وليس أدل على ذلك رسوخ مثل هذا الوضع مما تذكره مصادر عن هروب قصري للفلاحين تجاه المعتصمات الجبلية، فراراً من قبضة السلطة المركزية، كما تثبت مصادر أخرى عن مدى كثرة الفلاحين الذين هاجروا السهول الخصبة ليلجاوا إلى الجبال ويسكنوا قمما لا سبيل إلى وصول الأتراك وأعوانهم إليها[34]. وهذا بالفعل ما أثبته المكناسي في وصفه لمنطقة البيبان بالشرق الجزائري الواقعة بين قسنطينة و مدينة الجزائر؛ لما لها من حصانة طبيعية جعلت فيها منعة من قبضة الأتراك أو أي سلطة أخرى[35].

2.2. القرى الصحراوية:

تطلق العمارة الصحراوية هذه التسمية على العمارة التي نشأة في المناطق التي تندرج ضمن نطاق الصحاري الحارة والتي من ضمنها الصحراء الجزائرية شاسعة المساحة، فخصائص المناخ الصحرواي الجزائري بتفاوته الكبير في إرتفاع درجة الحرارته موسمياً ويومياً وكثرة الجفاف بندرة الأمطار وهبوب العواصف الرملية، بالإضاقة إلى خصائص الطابع الثقافي الإسلامي للمنطقة والذي يتضح تأثيره جلياً في كل مناحي العمارة، فهذه الظروف بإجتماعها تشترك في فرض واقع معين على الإنسان الذي يختار العيش بها، ليصوغ مساكن وقصور بالشكل الذي توفر له أحسن حماية تتأقلم من الظروف المناخية القاسية من جهة والمقومات الإسلامية من جهة أخرى، وفي نفس الوقت يضطر إلى الاقتصاد والإبداع معاً في بناءها، بما يتوفر من مواد محلية[36]، وبطبيعة الحال تلعب طوبراغرفية الأرض ومواد البناء المتوفرة دوراً

كبيراً في تحديد خصائص هذه العمارة، حيث تحتم على الإنسان أن يحسن استغلالها بما يتوافق مع متطلباته[37].

وحسب الكتابات التاريخية فقرى الصحراء الجزائرية كلها مبنية بالطوب، إلى جانب الطين[38] وخشب النخيل، فإنها تشكل المصدر الرئيسي لمواد البناء المستعملة في العمارة التقليدية، كما لا تخلو من البناء بالحجارة [39]. وهذا ما أكده الناصري في وصفه لمسجد قرية عين ماضي:" وبها مسجد على ربوة مبنية بأحجار كبار تحاكي الأحجار المنجورة[40] باستقامة وليست منجورة"[41]، وأحياناً يمتزج البناء ما بين الطين والحجارة كقرية تاجموت شمال مدينة الأغواط، أما عن الأغواط نفسها فبناءها: "من الطين بالدرجة الأولى، غير أن بعض المنازل مبنية بالحجر والملاط[42]" على حد وصف الأغواطي[43] أما العياشي فوصف سكنى واد سوف:" بزرائب من جريد النخل فإليها يأوون وبها يخزنزن "[44]. ويجمل في هذا كله فون مالتسان:" بأن جميع الأماكن الصحراوية مبنية بالطوب مثل القنطرة وسيدي عقبة، باستثناء بسكرة الأنيقة مبنية بالآجر[45].

أما عن منازلها فهي ذات طابق أرضي ولا تعلو عليها سوى المنارة والقلعة، وكل قرية تسمى واحة تعج بتمرها وآبارها المائية، وبدكاكينها المصطفة، وكثير من الكتابات تنعتها بالمدن الصغيرة، ولكن ما يفرقها عن المدينة بعض الإختلافات: فليس للقرية الصحراوية فحص ريفي، كما أنها ثابتة في بنيتها العمرانية عكس المدينة، إلى جانب تأثيراتها المحدودة على مستواها الخارجي، أما عن تعداد السكان فوزنها البشري قليل يصل الحد الأدنى فيها إلى ثلاثة أشخاص فما فوق[46]، وقد تصبح قبيلة أو قبائل متجمعة بتكاثرها، تسيرها الجماعة أو القبيلة القوية. عكس المدينة التي يسيرها موظف حكومي، كما يتجمع لبعض القرى في بعض الأحيان بين الاستقرار والترحال، فترتحل بسكانها ومواشيها مؤقتاً، مقسمة فصول السنة لموسمين الموسم الأول تقضيه في السهوب، والموسم الثاني عند الجفاف تتجه نحو التل بحثاً عن الماء والكلأ والقمح والمروج، فهي في هذه الحالة مجموعات نصف راحلة[47]. أما عن الطابع العام للعمارة الصحراوية، فتصنف حسب أشكال تجمعاتها العمرانية إلى: قصور، مدن، ومنشآت معزولة.

3- القصور:

جمع قصر وهو في المعنى الشائع بيت فخم أو بناية فخمة واسعة يتخذها الأثرياء وأصحاب السلطة عادة. ويختلف هذا المفهوم عن القصر المعروف في المناطق الصحراوية ببلاد المغرب العربي، فهو بهذه المناطق عبارة عن تكتلات سكنية متراصة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية تنتمي لأصول عرقية أو طبقات اجتماعية واحدة أو مختلفة، ويسمى في بعض المناطق بالدشرة أو الأغام أو إيغارم[48]، والقصر في الصحراء فضاء مشترك بين مجموعات بشرية، ذات مصلحة واحدة أو انتماء واحد[49]، مثل واحات وادي سوف والتي تتوفر على عدد كبير من المداشر أي القصور، ومداشر بلاد توات المترامية بين قراها العديدة كمدشر "ان صالح" و" افران" [50]. تنتشر هذه القصور وغيرها بالجنوب الجزائري حيث قصور وادي ريغ ، ومنطقة ورقلة، لتتجه في الجنوب الغربي نحو إقليم توات بتيدكلت وقورارة[51] وفي نفس المسار الغربي تستمر باتجاه بني ميزاب وجبال عمور لتواصل امتدادها حتى جبال القصور[52].

ومن الميــزات الأسـاسية التي تمتاز بها هذه القصور موقعها الإستراتيجي فــوق قمم الجــبال أو سفوحها أو هضبات صخرية صلبة تسهل عملية الدفاع عنها،كما تحيط بها وفي كثير من الأحيان أسوار تتخللها عدة مداخل وأبراج ، ومركز الدفاع بها القصبة فهي قلعة يحيطها سور مشيدة على أساس دفاعي، وهي جزء من القصر[53]. وعادة ما يتكون القصر الواحد من مجموعة من القصور تعرف باسم واحد مثل: قصر " بودا" بتوات ، وقصور واحات وادي ريغ ذكر الرحالة هاينريش فون مالتسان ويشاركه في تقارب الوصف ابن الدين الأغواطي، أن قرى وادي ريغ تكون في مجموعها وحدة قبائل وادي ريغ، وقد عدد قراها بواحاتها إلى أربع وعشرين قرية متجاورة كواحة تمرنة، وسيدي راشد، والغمرة، وسيدي عقبة، وسيدي خليل، وتنديلة، والنزلة، وتيبسبست، والمقارين، وواحة المغير، غير أن واحة تقرت هي أكبر واحة في المنطقة، بل تعد العاصمة لها على حد وصف الأغواطي وهي تحتوي حوالي أربعمائة منزل، محاطة بأسوار ولها أبواب، وهذه الأسوار محاطة بدورها بخندق يمكن مقارنته ببحر من الماء وهذا يتصل بعيون ماء تصب جميعاً فيه[54].

كما تشاركها في هذا الزي المعماري الخاص من كثرة الأبواب والأسوار وخنادق الماء مدينة ورقلة[55] يقول عنها العياشي في رحلته: "هي مدينة لها سبعة أبواب، وهي في وسط خط من النخيل ومساحة المدينة بالتخمين نحو من نصف فرسخ[56] في مثله، محيط بها خندق مملوء ماء من كل جهاتها لا يصل أحد إلى سورها إلا ناحية الأبواب"[57] وأحد أبوابها يسمى باب السلطان[58]. ويتفق معه أبو القاسم الزياني في وصفه لها :" ورغلة مدينة أزلية لها سبعة أبواب، ولها سور حصين ومحيط به خندق ممتلىء بالماء خلف سورها"[59]. وبالجنوب الصحراوي الجزائري أيضاً بلدة أولف والتي تعتبر البلدة الرئيسية بواحة توات، ومركز السلطة بالمنطقة تتحصن بأسوار طينية، كونها محل السلطان بتلك الواحات، أين تضرب بين يديه الطبول، ويفرض سلطته على القرى المجاورة مثل قرية " طيت" وقرية "وات الحناء"[60].

وأحياناً تكون البيوت متراصة فتكون بمثابة أسوار تحميها، كما هو الشأن بتيميمون قال عنها الأغواطي: " تيميمون بلدة كبيرة، ليس لها أسوار تحميها لأن منازلها جميعاً متراصة، وهي مبنية بالطين أو الطوب، "[61].

وعلى مقربة منها قصور واحة قورارة تبعد عنها مسير يوم، وهي تضم بدورها حوالي عشرين قرية [62]، وبنفس النمط المعماري للقصور الصحراوية يقال عن قرى وادي مزاب والتي تشمل خمسة قرى أكبرها غرداية، ثم بني يزقن، وبونورة، والعطف، ومليكة[63]. وهي في وادي محصن طبيعياً بجبال صخرية، يضم بين دفتيه حوالي ألفين وأربعمائة مسكن، ولغرادية سور، كما لها سوق كبير ومنارتان وبوابتان في السور[64].

وبنفس التشابه في النسق المعماري وعلى مقربة منها قصر بريان والقرارة هذا الأخير الذي يتموضع على قمة جبل يصفه عبد الرحمن التنلاني في قوله "جبل الصحاري"...هذا الجبل ما رأيت مثل طوله وكثرة أشجاره وطولها وفيه الأنهار المطردة والطيور المغردة ويوجد فيه " القرمز " الجيد الكثير[65]. وفي جنوب قصور وادي مزاب يشرف قصر القليعة وهو قصر قديم فوق جبل هرمي الشكل، بني هذا القصر في جبل معزول كأنه جزيرة في وسط كثبان رملية، تحيط به واحات غناء من النخيل، وتصميمه الهندسي والدفاعي يبين مدى عبقرية من بناه[66]. وهذا ما يأكده العياشي في وصفه لقرية القليعة:" وهي قرية حصينة على

حجر صلد، في سفح جبل منقطع عنه"[67] لأن ذلك القصر هجر مع التقادم في الزمن وسكن الناس سفوحه الصخرية المتربعة في وسط الرمال الفسيحة[68].

ومن إقليم بني مزاب بإتجاه جبال عمور تتوسط مدينة الأغواط، تذكر الروايات التاريخية أن مدينة الأغواط كانت تزخر بمجموعة من القصور المعمارية مثل: قصر بن بوطة، وبومندالة، ونجال، وقصبة بن فتوح، وندجال لأولاد بوزيان، وسيدي ميمون لأولاد بوزيان، وقصر بدلة لأولاد يوسف، في الواحات الشمالية وهم من أسسوا قصر تاجموت سنة 1666م.

كانت هذه القصور والقصبات في بداية تأسيسها مستقلة تضم كل منها قبيلة أو أكثر يترأس كل منها شيخ لا يربط بينهما سوى علاقة الجوار، لكن لأسباب أمنية دفعتهم للتجمع حول أكبر قصور الأغواط قصر بن بوطة. فبعد تجمع تلك القصور أضحت الأغواط بلدة كبيرة، محاطة بسور وحولها تحصينات ولها أربعة أبواب وأربعة مساجد[69]. وقد كانت قصور الأغواط كلها كقصر العسافية[70]وقصر الحيران والقرى الزراعية المتواجدة كلها على حواف وادي مزي تبذل جهدها لكي لا تفقد نفوذها وتفوقها في قصر الأغواط[71]. ومن قراها القريبة قرية تاجموت تأسس قصرها من البدو الرحل القادمين من الزيبان وبعض القبائل الفارة من الصراعات التي كانت موجودة على الكلأ لتستقر على أربعين كلم من منبع واد مزي في مكان كان يسمى تاجموت ويقصد به مكان ارتبطت بذكرى ملكة حكم عليها بالموت والتسمية مشكلة من كلمة تاج وكلمة موت، وكان من بين الذين سكنوا القصر أولاد يعقوب والعموريين والشعانبة القادمين من متليلي الذي جاؤوا للرعي في المنطقة [72].

يصف طابعها العمراني البسيط الرحالة الألماني هاينريش فون مالتسان، مبيناً من خلالها موقعها الجغرافي المرتفع، لدواعي دفاعية كما أسلفنا، والحوائط الطينية للحماية والزراعية للمعاش؛ وهذه ميزة أغلب القرى الصحراوية في كثير من الأحيان:" تقع تاجموت فوق مرتفع حجري كونته طبيعة الأرض الصحراوية البديعة، لقد كانت هذه الهضبة الصغيرة، التي تقع فوقها المدينة وبساتينها، ذات شكل مثلث الزوايا وحول قاعدة هذا المثلث الصخري كانت تمتد أشجار النخيل، وكان هناك سور يبدو كسور المدينة من بعيد، ولكنه لم يكن في الحقيقة سوى مرتفع من الطين يحيط بالمدينة وينحدر ليحيط ببساتين النخيل أيضا، ويرى فوقه في بعض الأحيان برج هرمي الشكل، مسنن ذو كوى لاطلاق النار"[73]. أما عن عين ماضي يقول الأغواطي:"إن هذه البلدة تقع غربي تجموت، ولها بابان عظيمان"[74]، يصفها الحضيكي:" عين ماضي قرية فيها أجنة تين وعين محفوظة بالحوائط والزروب، وللقرية كذلك سور ممنوع"[75]. يقول عنه أبو مدين الدرعي:" أحاطوا على قريتهم وبساتينها بسور متقن البناء وأبراج"[76]. هذا السور الحصين الذي أثنى على صنعه فون مالتسان أيضاً في قوله:" كانت عين ماضي أحسن حصن في الجزائر كلها، على الأقل أحسن حصن بناه العرب، يحيط بها سور كبير قوي، كانت بروجه الكثيرة ذات سقوف هرمية الشكل. دخلنا إليها عبر الباب الكبير، الذي كان شبيهاً بالقلعة، وكان أعلى بكثير من أبواب المدن العربية الأخرى، تحيط به أسوار حصينة، وقد ارتفع على جنبيه برجان مربعان، جعلاه ذا مظهر ضخم[77]، وكان للشارع الأول الذي دخلناه مظهر فخم أيضاً، ذات منظر أسود رهيب"، أما عن موقعها هي الأخرى :" فتقع فوق تل بيضاوي الشكل، ولذلك يقول العرب عين ماضي بيضة نعامة شقت طولها"، أما عن بيوتها من الداخل

فكلها مبنية بالطين باستثناء بيت التجاني:" مرابط عين ماضي الشهير، كان بيتاً عربياً أبيض، وهو البيت الوحيد في عين ماضي الذي لم يكن مبنياً من الطين"[78]. كما لا نغفل عن مداشر الجنوب الغربي للجزائر كمداشر قرى مدينة بشار، منها ما عرف بمدشر وَكْد[79] ومدشر القنادسة.

كما تحتوي هذه القصور إضافة إلى بيوت السكان على مرافق متنوعة أهمها المسجد الذي يحتل موقعاً مركزياً بالنسبة للقصر، وفي الغالب نجد أكثر من مسجد، مثل تقرت عاصمة واد ريغ يقول العياشي:" في مسجدهم صومعة وثيقة البناء، طويلة جداً فيها نحو مائة درجة، على بابها اسم صانعها وهو المعلم أحمد بن محمد الفاسي، وتاريخ بنائها سنة سبع عشر وثمانمائة"[80]، بالإضافة لقصور تميمون ذات الأربع مساجد، وقرية "وات الحناء" الواقعة غرب أولف، وبالرغم كونها قرية صغيرة تابعة لمركز السلطة المتواجد باولف، إلا أنها تتوفر على عدد من المساجد كما ذكر ذلك الأغواطي[81]، ودائماً مع الأغواطي وقرى الصحراء نجده يصف أمراً مستغرباً لم تعهده العمارة الدينية بمساجد المغرب الإسلامي عموماً والجزائر على الخصوص، وهذا مع مدينته الأغواط يقول ليس بمساجدها منارات وهذا على خلاف المعتاد في الهندسة المعمارية المعروفة أنذاك [82]. أما عن عين ماضي يقول أبو ناصر الدرعي:" بها مسجد على ربوة مبنية بأحجار كبار تحاكي الأحجار المنجورة، باستقامة وليست منجورة، وحوله قبور عديدة وأسفله واد بماء جار وبازائه عدة أشجار تين وهو مفرش بقطائف جيدة وحصر جيدة وله نور يعلوه وبازائه مطبخ طعام مبني على صورة بيت وصحائف وقدور"[83].

كما تحوي تلك القصور أو المداشر على أسواق ودكاكين ورحبات(ساحات)، كما تحوي بعض القصور على قصبة محصنة تكون مقراً للحاكم، مثل: ورقلة وتقرت بواد ريغ وقد ذكرنا ذلك أيضاً مع قصر أولف بواحة توات [84]. وأهم ما يميز هذه القصور إرتباطها الوثيق بالجانب الفلاحي فهي تقع بالقرب من أراضي صالحة للزراعة، ولموقعها الجغرافي المرتفع كما أسلفنا فقد ابتكروا طريقة لاستغلال الماء وتوزيعه بشكل مضبوط ومحكم بالنسبة لسكان القصر الذين بداخله من جهة ولسقي مزروعاتهم في خارجه من جهة أخرى لذلك فمعظم القصور الصحراوية تحيط بها واحات النخيل التي تعتبر الأساس الإقتصادي لسكانها وتوفر لها مجالاً بيئياً حامياً، فهي حاجز طبيعي في وجه الزوابع الرملية[85].

وقد شمل الطابع الفلاحي للقصور أغلب القرى والمدن الصحراوية مثل: واحات تقرت بقراها المتقاربة يتحدث الأغواطي عن مشهدها الفلاحي ف:" من أعالي منئر البلدة يمكن مشاهدة عدد من القرى وغابات (النخيل) في المناطق المجاورة، كالنزلة وتيبسبست وتماسين والمقارية والمغير"[86] ، يقول العياشي عن واد سوف:" هي خط من النخل متعرض في وسط الرمل...فيه بلاد عديدة وماؤها طيب غزير قريب من وجه الأرض"[87]، وعن تماسين :" هي بلدة كثيرة العمارة والنخيل "[88]، وبأقصى الجنوب مدينة قورارة وواحاتها التي تضم عشرين قرية، وببلاد توات أيضاً ببلدة بني أركان:" يصفها ابن المليح هي:"بلد طيبة كثيرة الزرع والثمار المختلفة بالجنس والنوع، ذات عيون جارية وأنهار"[89] وفي طريق تديكلت أسفل بلاد توات:"بلغنا ...مدشراً-أي قصر - صغيراً يقال له" ان صالح" أحدقت به عيون ونخيل كثيرة"[90]، ونفس الشأن بقرى بني مزاب فعن القرارة بينا ذلك مع وصف التنلاني لجبل الصحاري الذي تتموضع فيه القرية:" هذا الجبل ما رأيت مثل طوله وكثرة أشجاره وطولها وفيه الأنهار المطردة والطيور المغردة"[91] وعن عين ماضي فذات

أجنة تين والزروب وعيون الماء المحفوظة بالحوائط [92]. فالقصر من خلال كل ما تقدم يوصف بأنه نوع من التجمعات البدوية الزراعية، وقد دأب الباحثون الفرنسيون على تسميتها ب(**Villages**) أي القرى[93].

4. خاتمة:

وخلاصة القول، فقد شكّل موضوع البادية والريف محور اهتمام لفيف من المؤرخين والجغرافيين وحتى الرحالة في كتاباتهم التوثيقة عن أي منطقة يمرون بها أو جوانب جغرافية يسلطون الضوء عليها في دراساتهم التاريخية؛ لقيمتها العلمية البالغة على كل الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذا الشق الثقافي منها، فتضاربت الآراء في ضبط المفهوم الحقيقي لمصطلح البادية أو البوادي، وازدواجية المعنى مع الطابع القروي أو ما يعرف بالريف، وخلصت في آخر المطاف إلى أن التداخل واضح بين معنى الريف ومعنى البادية؛ وهو ما جعلني أقوم بدمجهما معاً ضمن استخدام عام لكلمة الريف؛ رغم وجود بعض الفروقات.

لأن البادية أصلاً امتداد للريف، وقد أثبت ذلك في موضعه حسب ما بيّنه جملة من المؤرخين والرحالة في فترات تاريخية متباينة؛ وهو ما جعل المؤرخ سعيدوني؛ يسميها بالريف العميق، على أن هذا الاستعمال الواسع - مقابل استخدام المجال الحضري -لم يفقد أيا منهما خصائصه.

ويبدو أن التداخل واضح في المظاهر العمرانية بين البادية والريف، وهذا ما أقرّ به الكثير من المؤرخين والباحثين بطريقة أو بأخرى، وهو ما أثبتته التجمّعات الريفية القروية والتي انتشرت بكثرة في الجزائر العثمانية، وبالأخص بالمناطق الجبلية التلية والهضابية، مثل قرى بلاد القبائل والأوراس، والمناطق الصحراوية، بما فيها من بساطة المعمار المبني من الطوب والطين والحجارة. وهذا ما أكده بشكل دقيق كل من فندلين شلوصر وهاينريش فون مالتسان، غير أن المناطق الصحراوية تميزت بطابعها المعماري الخاص في بناء القصور خاصة بمنطقة توات، وواد ريغ، وبعض المناطق بالزاب على ضوء ما بيّنه الرحالة المغاربة، أمثال: العياشي، والدرعي، والسجلماسي، والناصري.

---

(1)- حازم حسني زيود، مفهوم القرية ودلالاتها في القرآن الكريم"دراسة موضوعية"، **مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث**، مجلد(2)، العدد (2)، ط:2016م، ص: 3 .

(2)- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط: 1300ه، مادة ريف، ج7، ص:128.

(3)- المعجم الوسيط، **مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث**، جمهورية مصر العربية: مكتبة الشروق الدولية، ط4 : 1425ه/ 2004م، ص:386 .

(4)- ينظر: جهيدة بوعزيز، **الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1771-1837م/1185- 1258ه)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تخصص: الريف والبادية، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية : 2011-2012م، ص: 14.

(5)- ينظر: جهيدة بوعزيز، المرجع السابق، ص: 17.

(6)- بلبروات بن عتو، **المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: بلقاسمي بوعلام،جامعة وهران، 2007 – 2008م، ص: 210.

(7)- حازم حسني زيود، المرجع السابق، ص ص: 3، 4 .

(8)- عبد الرحمان ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002، ص: 126.

(9)- ينظر: عميور سكينة، **ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م "دراسة اقتصادية واجتماعية"**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص: تاريخ الريف والبادية، إشراف: إبراهيم بكير بحاز،جامعة قسنطينة، السنة الجامعية:1433- 1434هـ/ 2012- 2013م، ص: 5.

(10)- أبو عبد الله الشريف الإدريس، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط: 1422هـ/2002م ج1، ص: 258.

(11)- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب مرتباً على حروف المعجم**، تح: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1: 1424هـ/2002م،ج1، ص: 119، ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ج14، ص ص: 67، 68.

(12)- **المعجم الوسيط**، المصدر السابق، ص: 45.

(13)- ينظر: جبران مسعود، **الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقاً لحروفها الأولى**، بيروت- لبنان: دار العلم للملايين، ط7:آدار/مارس: 1992م، ص:160 .

(14)- عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، **موقع معاجم صخر**، المكتبة الشاملة، ج1، ص: 4305. الصفحة فوق: 903.

(15)- سورة يوسف: الآية 100، في تفسير الآية أن منزل يعقوب عليه السلام كان بأطراف الشام في بادية فلسطين وكان رب إبل وغنم.

(16)- ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة: دار الحديث، ط: 1364هـ، ص ص: 116، 456.

(17)- ينظر: محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص: 87.

(18)- عادل بديرة، **بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط (دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرها على السلوك والذهنيات) من القرن 4 إلى القرن 7هـ/ 10-13م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: مفتاح خلفات، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: مفتاح خلفات، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، السنة الجامعية: 1438-1439هـ/2017-2018م، ص: 19.

(19)- **ابن سحنون القيرواني(202هـ- 818م/256هـ/ 870م)**: هو الإمام العلامة فقيه المغرب ومفتي القيروان، هو أبو عبد الله محمد ابن فقيه المغرب ومفتيها وقاضيها عبد السلام بن سعيد التنوخي، وصف بالعقل والديانة التامة والورع، قيل عنه سيد أهل المغرب، برز في الفقه و الحديث والآثار، تولى القضاء ومكث فيه أربعين سنة، كان مقصد أهل المشرق والمغرب؛ مجلسه مزدحماً بالطلبة والعباد، يأتون إليه من أقطار الأرض، وقيل بلغ الرواة عنه بلغوا تسعمائة، من مؤلفاته: المسند في الحديث، كتاب الإمامة، =الرسالة السحنونية، شرح أربعة كتب من: المدونة" . ينظر: ابن سحنون القيرواني المالكي، **فتاوى ابن سحنون**، تح: مصطفى محمود الأزهري، مصر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع-الرياض: دار ابن القيم للنشر والتوزيع، ط1 : 1431هـ/ 2011م، ص ص:13، 22.

(20)- أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح: بشير البكوش، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2:1994، ج1، ص: 369.

(21)- ينظر: حازم حسني زيود، المرجع السابق، ص ص:2، 3 .

(22)- ينظر: بالبراوت بن عتو، **المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني**، إشراف: بقاسمي بوعلام، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم: التاريخ وعلم الآثار، السنة الجامعية: 2007، 2008م، ص: 210.

(23)- ينظر: فندلين شلوصر، **قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)**، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، الجزائر: عاصمة الثقافة العربية، ط: 2007م، ص:98، هاينريش فون مالتسان، **ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا**، تر: أبو العيد دودو، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج1، ص: 76.

(24)- المصدر نفسه، ص:98.

(25)- هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص:99.

(26)- ينظر: بالبراوت بن عتو، المرجع السابق، ص: 211.

(27)- ينظر: فندلين شلوصر، المصدر نفسه، ص: 96.

(28)- هاينريش فون مالتسان، المصدر نفسه، ج2، ص: 102.

(29)- وليام شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824م)**، تع: إسماعيل العربي، ط: 1982، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص: 114 .

(30)- يلاحظ تركيز الكتابات التاريخية على منطقة القبائل وخاصة الغربية، وأغفلوا ما حل بقرى الساحل على سبيل المثال هنين وما قاله عنها المكناسي في وقت مبكر من الوجود العثماني بالجزائر بعد تحريرها من قبضة الأسبان: " هي بلدة مسورة وهي اليوم خربة =لم يبقى فيها إلا سورها ومسجدها وبداخل السور أشجار تين". ينظر: علي بن محمد التمكروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية (1589م)، ص ص: 40، 41.

.. PP:327 329

)31- (Op. Cit..Abbé Edmond Lambert 'L

ينظر:بالبراوت بن عتو، المرجع السابق، ص ص: 211، 212.

(32)- **الشاوية:** جمع شاوي، أي راعي الغنم، وأهم جماعات الشاوية التي يسميها الحسن بن محمد الوزان، (Saaua). ينظر: وليام شالر، المصدر السابق، الهامش: 11، ص: 122.

(33)- ينظر: وليام شالر، المصدر نفسه، ص: 122.

(34)- ينظر: جهيدة بوعزيز، **الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1771-1837م/1185- 1253هـ)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: جميلة معاشي، جامعة قسنطينة 2، 2011-2012م، ص: 59.

(35)- المكناسي، المصدر السابق، ص 330.

(36)- ينظر: قبابلة مبارك، **تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية**، إشراف: بن قربة صالح، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار، **تخصص آثار صحراوية**، جامعة بسكرة السنة الجامعية: 2010/2009، ص:15 .

(37)- ينظر: قبابلة مبارك، المرجع السابق، ص:23.

(38)- من القرى والتي ذكر بنائها بالطين قرية أوالن، تيميمون، أولف وقراها توات الحناء وطيت. ينظر: الأغواطي، المصدر السابق، ص ص:88، 92، 93، 94 .

(39)- ينظر: قبابلة مبارك، المرجع السابق، ص:26.

(40)- **المنجورة:** يعني حجارة منحوته من فعل نَجَّرَ، يقال نجر الخشب صنعه أو أصلحه، ينظر: المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص: 903.

(41)- أبو العباس بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص:132 ، محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1، ص: 204.

(42)- **الملاط:** تَملّطَ الشيء تملس، المِلاَطُ هو الطين الذي يطلى به الحائط، ويجعل بين كل لبينتين أو آجرتين أو حجرين، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص: 885

(43)- ينظر: ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص: 88.

(44)- العياشي، المصدر السابق، ج1، ص: 123.

(45)- ينظر : هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق،ج3، ص: 148.

(46)- يجتمع الناس بمكان واحد عن طريق المساكنة: فإن قلوا قيل لها قرية، وإن كثروا قيل لها مدينة. ينظر: حازم حسني زيود، المرجع السابق، ص: 3.

(47)- ينظر: بالبراوت بن عتو، المرجع السابق، ص ص: 212، 215.

(48)- قبابلة مبارك، المرجع السابق، ص:15 .

(49)- أحمد بوسعيد، احمد بوسعيد، **الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/ 18م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العام، تخصص: التاريخ المغاربي الاجتماعي والثقافي، جامعة أدرار، السنة الجامعية: 1432-1433هـ/ 2011-2012م، ص: 8.

(50)-ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، الشهير بالسراج، والملقب بابن المليح، **أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الأمال والمأرب سيد الأعاجم والأعارب صلى الله عليه وسلم (1040-1042هـ/1630-1633م)**، تح: عبد القادر شكود، المغرب: مطابع سلا، ص ص:80، 229، ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص:96.

(51) - **إقليم توات وتيدكلت وقورارة:** يضم إقليم توات أقاليم ثلاث جهات محلية متباينة جغرافياً ومتمايزة ديمغرافياً، وهي قورارة في الشمال وتيدكلت إلى الجنوب الشرقي وتوات الوسطى أو تسوات الوسطى ،يقال تديكلت عند ابن المليح: وهي أسفل بلاد توات، على مسير ثلاث أيام من مدشر ان صالح(عين صالح)، أما عن قورارة فهي واحة على مساحة يوم من بلاد تيميمون، وتضم حوالي عشرين قرية. تسمى أيضا بتيكورارين أو تينجوراين،

قصورها كثيرة تقارب المائة. عبد الرحمن ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ج07، ص: 77. ابن المليح، المصدر السابق، ص: 229، ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص: 94، أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص: 3.

(52) - تنتشر القصور بمنطقة المغرب العربي على حزام واسع يمتد من حوالي 100كلم شرق مدينة طرابلس الليبية ويمر جنوباً غرب مسلك جبل نفوسة ثم يتجه نحو الشمال مروراً بالجنوب التونسي حيث قصور تطاوين ومطماطة ثم يتجه غرباً نحو الجنوب الجزائري =حيث قصور وادي ريغ ومنطقة ورقلة، ليتجه جنوب غرب نحو إقليم توات وتيدكلت وقورارة وغرباً باتجاه بني ميزاب وجبال عمور لتواصل امتدادها عبر جبال القصور حتى المغرب الأقصى، ينظر: قبابلة مبارك، المرجع السابق، ص: 17.

(53)- أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص: 8.

(54)- جاء هذا الوصف للأغواطي في رحلته المدونة أواخر العهد العثماني ما يقارب 1829م. ينظر: ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص: 100، هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج1، ص: 154.

(55)- يعتبر قصر ورقلة أحد القصور الصحراوية التراثية الضاربة في التاريخ، وقد تزامن ظهوره مع عدة قصور على غرار: (قصور بني عباس بولاية بشار وقصر قمار بولاية الوادي وقصر تيميون بولاية بولاية أدرار، وقصور غدامس بالتراب الليبي...)كما يرجع بعض المؤرخين نشأته إلى الفترة النوميدية ما بين القرن 7 و 10 قبل الميلاد، كما توجد مراجع ترجع نشأته إلى القرون الوسطى الإسلامية، شواش عبد القادر، بوسماحة أحمد، المخالفات العمرانية والتحولات الاجتماعية أية علاقة، **حالة قصر ورقلة العتيق**، مخبر المصادر الطبيعية وتهيئة الفضاءات الحساسة، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، ص: 1.

(56) -**الفرسخ:** مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص: 681.

(57) -العياشي، الرحلة العياشية، ج1، ص:115 .

(58)- المصدر نفسه، ج1، ص: 114 .

(59)- العيـاشي يسميها واكلا والزياني ورغلة والأغواطي ورقلة. ينظر: العيـاشي، المصـدر السابق، ص: ج1، ص:114 ، أبو القاسم الزياني. الترجمانة الكبرى، ص: 149 ، ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص: 92.

(60)- **توات الحناء:** تقع غرب أولف، وسميت بتوات الحناء لأنها تنتج الحناء.ينظر: ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص ص: 93، 94.

(61)- المصدر نفسه، ص: 93.

(62)- ينظر: ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص: 94.

(63)- يزيد الأغواطي على عدد القرى الخمسة قصر سادس ويسميه أبو القاسم سعد الله قصر سيدي سعيد. ينظر: عبد الرحمن أبن ادريس التنلاني التواتي الجزائري (ت 1233هـ/ 1817م) إلى الجزائر العاصمة، **ثلاث رحلات مغاربية**، تح: مصطفى ضيف محفوظ بوكراع، الجزائر : المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، طبعة خاصة: 2011م، ص ص: 240، 241، ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص: 90.

(64)- ينظر: ابن الدين الأغواطي، المصدر نفسه، ص: 90.

(65)- عبد الرحمن التنلاني، المصدر السابق، ص: 242.

(66)- يرتفع الجبل الذي بني عليه القصر ب75م على مستوى "واد إمقيدن"، مشرف على كافة واحات المنيعة ومداخل المدينة تم تأسيس القصر في بداية القرن العاشر ميلادي، من طرف قبيلة زناتية قدمت من نواحي تيميمون وقورارة، وقد حكم القصر ملكة تسمى " امباركة بنت الخص". ينظر: قصر المنيعة، ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته، وزارة الثقافة الجمهورية الجزائرية الشعبية، في 2020/05/14، على الساعة: 17:17 على موقع: http://www.opvm.dz/ar.

(67)- قليعة تصغير قلعة وهي المنيعة حالياً وقد سماها بذلك أيضا الأغواطي. ينظر: العياشي، المصدر السابق، ج1، ص: 111.

(68)- ينظر: ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص: 91.

(69)- ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص: 87.

= قصر العسافية الذي يبعد باثنا عشر كلم عن الاغواط وكان يمارس التجارة بشكل منافس للمدينة وحتى في الزراعة كان يقوم بقط ماء وادي مزي عن الاغواط لري زراعته وكانوا يطالبون بحماية البدو.

(70)- **قصر العسافية:** وهو من القصور الثانوية يبعد باثني عشر كلم عن الأغواط وكان يمارس التجارة بشكل منافس للمدينة وحتى في الزراعة كان يقوم بقطع ماء وادي مزي عن الاغواط لري زراعته . ينظر:

Goorges Hertz, **L'algerie nomade et Ksourienne 1830-1954**, L'imprimer A. Robert, Marseille, 1989 p137.

(71 Goorges Hertz, Op .Cit, p133.

(72 -Goorges Hertz, Op. Cit, P140..

(73)- هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج3، ص:247 .

(74)- ينظر: ابن الدين الأغواطي، المصدر نفسه، ص: 88، أبو الناصر الدرعي، المصدر السابق، ص ص: 130، 132.

(75)- أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي (ت 1189هـ)، **الرحلة الحجازية**، تع: عبد العالي لمدبر، الرباط: المغرب مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، ط1 : 1432هـ/ 2011م، ص: 83 .

(76)- أبو مدين الدرعي (1152هـ/ 1739م)، رحلة أبو مدين الدرعي، **مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط**، رقم: 297، و 42 و.

(77)- ينظر: هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج3، ص:253 . .

(78)- لقد حاصر الأمير عبد القادر هذه المدينة عام كاملاً ولم يستطع أن يخضعها لقوة سورها الحصين. ينظر: هاينريش فون مالتسان، المصدر نفسه، ج3، ص:253 . .

(79)- ينظر أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري (ت 1239هـ/ 1823م)، **الرحلة الناصرية الكبرى**، تح: المهدي الغالي، ط: 1434هـ/2013م، المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج1، ص: 187.

(80)- العياشي، المصدر السابق، ج1، ص: 119.

(81)- ينظر: ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص:92.

(82)- المصدر نفسه، ص: 88.

(83)- ينظر أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية (1709-1710م)، تح: عبد الحفيظ ملوك، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011، ص:132 .

(84)- ينظر: العياشي، المصدر السابق،ج1، ص ص:114 ، 123، هاينريش، المصدر السابق، ج3، ص:178 .

(85)- ينظر: قبابلة مبارك، المرجع السابق، ص: 16 .

(86)- ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص: 100.

(87)- يسميها العياشي سوف. ينظر: العياشي، المصدر السابق،ج1، ص:123.

(88)- المصدر نفسه،ج1، ص:119.

(89)- أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، الشهير بالسراج، والملقب بابن المليح، أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الأمال والمأرب سيد الأعاجم والأعارب ﷺ، ص:79.

(90)- ابن المليح، المصدر السابق، ص: 229.

(91)- عبد الرحمن التنلاني، المصدر السابق، ص: 242.

(92)- ينظر: الحضيكي، المصدر السابق، ص: 83 .

(93)- ينظر: قبابلة مبارك، المرجع السابق، ص ص:16، 17.